

خرائب الشام

مدينة يسان

نستغفر الله ليست مدينة بل قرية صغيرة ولو كانت في مالف عهدا عاصمة المدائن العشر (ديكابوليس) يسكانها الآن جالية مصرية اتى بها اليها ابرهيم باشا سنة ١٨٤٠. وهي مدينة بيت شان التي حمل اليها الفلسطينيون اجساد الملك شاول وبنه بمد ان قتلهم في واقعة جلبوع على ما هو مذكور في التوراة وارسلوا رأسه الى هيكل داجون وسلاحه الى هيكل عشتاروت وسميت هذه المدينة سكيثوبوليس اي مدينة السكيثيين لان قبائلهم سكنتها لما نزلت على بلاد الشام ومصر في اواخر القرن السابع قبل المسيح. والاسم يوناني كما لا يخفى اطلقت عليها اليونان بمد ان تغلب الاسكندر على بلاد المشرق اما لانهم وجدوا السكيثيين فيها اولانهم وجدوا حولها اقواما رحلا كالسكيثيين فسماها بما معناه مدينة الاقوام الرحل. ولم تكن من مدن اليهود في عهد يهوذا المقاتلي مع ان اليهود كانوا كثيرا فيها

وتغلب القائد بيبايوس الروماني عليها وهو ذاهب من دمشق الى اورشليم ثم اعاد اهلها اليها بعد فتح اورشليم وجعلها من المدن الحرة. ولما وقع الرومانيون بيهود قيصرية وذبحوهم قام اليهود وهجموا على يسان لينتموا من اليونانيين سكانها فانضم اليهود الذين فيها الى اليونانيين وغيرهم من السكان وحاربوا اليهود الهاجرين عليها وابدوا من الحماسة والشجاعة في محاربة اخوانهم ما جعل باقي السكان يسيئون الظن بهم على ما رواه يوسيفوس فطلبوا منهم ان يتخوا عن المدينة الى غاب خارجها فخرجوا اليهم وعيالهم الا ان اهل المدينة غدروا بهم وبيتوهم وقتلوا منهم ثلاثة عشر الف نفس. فاقولك بمدينة يقتل من فريق صغير من اهلها ثلاثة عشر الف نفس وكان ذلك سنة ٦٥ للمسيح

واطلق عليها الرومانيون اسم مدينة القصور لكثرة قصورها وبانيها النفيسة وكانت لا تزال في عرها في اوائل القرن الرابع بعد المسيح وقد ذكرها يوسيبوس وايرونيوس وقال انها كانت مدينة عظيمة. وحضر مطرانها للجمع الذي عقد في فلسطين سنة ٣١٨ وللجمع النيقاوي الاول الذي عقد سنة ٣٢٥. وناب نائب عن رهبانها في الجمع القسطنطيني الذي عقد سنة ٥٣٦ وفيها ولد باسيليوس زعم طائفة الفسطين المصربة وكيرلس بطريرك الاسكندرية الذي قُتل في عهده هياثيا العاملة الوثنية

وبما فتح العرب دمشق ارسل ابو عبيدة شرحبيل وجنوده الى يسان فقاتلوا اهلها وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ثم صالحهم من بني عبي صبح دمشق. ولا يذكر اسم هذه المدينة بعد ذلك الا نادراً فانها انحطت عن عظمتها الاولى بعد تروح الشام ولم تزل تنحط حتى الآن. ويمر فيها جدولان يقسمان خرائبها الى ثلاثة اقسام القسم الجنوبي حيث قرية يسان الحالية والميدان والملعب واثار اسوار قديمة والقسم المتوسط وفيه اكمة كان فيها الحصن الذي علق عليه رأس شاول وروؤس ابنائيه والقسم الشمالي وفيه آثار كنيسة نفيسة وحمامات وحصون وحول الاقسام الثلاثة آثار السور القديم

والميدان او المشهد مطمور كله تقريباً الآن وقد كان طولاً من الشرق الى الغرب ٢٨٠ قدماً وعرضه من الشمال الى الجنوب ١٥٢ وهو بناء مستطيل مستدير الطرفين جدرانته من الحجارة السود الصلبة ومقاعدته من الرخام الايض

والملاعب شمالي الميدان وهو يزيد على نصف دائرة قطرها ١٨٠ قدماً وهناك استشهد كثيرون من المسيحيين في عهد يوليان المرتد. ولا تزال العرُن التي كانت توضع فيها الضواري حتى الآن. وكان فيه تفرصة الشكل توضع فيها الايب من النحاس لتقوية الصوت. وبناء الملعب مثل بناء المشهد من الحجارة السود ومقاعدته من الرخام الايض وتحتها عقود من الحجارة السوداء ولذلك يسمى بالعقد

وجنوبي الملعب جامع الاربعين فوق محرابه كتابة يقال فيها انه بني سنة ٨٠٦ للهجرة وقد كان كنيسة قديمة فحوّلت جامعاً

وفي المدينة اكمة طبيعية يقال لها تل الحصن تطل على البلاد المجاورة هناك بني الصليبيون القلعة المسماة بقلعة اليربوع وتحتها آثار سور كبير كان يحيط بالتل

وكان بعض البستانيين يحفرون في ما يسمى بستان السلطان فمثروا على آثار كنيسة فيها سبعة وعشرون عموداً يتجانها وقواعدها وهي من الشكل الكورنثي وكلها من الرخام الايض وفتح الصليبيون يسان وقالوا انها كانت كثيرة الخرائب في خرائبها كثير من الرخام وقاوم اهلها صلاح الدين سنة ١١٨٢ لكنهم هربوا منها في السنة التالية فهبت وحرقت. وذكرها ابو الفداء فقال هي مدينة صغيرة بلا سور ذات بساتين وانهار وهي على الجانب الغربي من النور وهي كثيرة الخصب ولها من جملة انهرها نهر صغير من عين تنشق المدينة بينها وبين طبرية ثمانية عشر ميلاً وهي في الجنوب عن طبرية

هذا ما بقي من عاصمة المدن العشر ومن مدينة من اكبر مدائن الشام